

بسم الله الرحمن الرحيم

برنامج (حياة الشباب في صدر الإسلام)

الحلقة السادسة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد :-

أيها المستمعون الكرام، معشر الشباب ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وأهلاً بكم مع حلقة جديدة من برنامجكم (حياة الشباب في صدر الإسلام) ، عرفنا فيما مضى شيئاً عن المكانة العلمية لشباب صدر الإسلام ، وفي هذا اليوم نعرض جانباً آخر لحياة أولئك الشباب ، فكما كان ذلك الجيل جيلاً عالماً، حاملاً للعلم، عاملاً به، داعياً إليه، فقد كان أيضاً جيلاً مؤمناً بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره، إيماناً جازماً لا تردد فيه كما في قوله تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا} (١).

ولقد شهد رسول الله ﷺ للشباب بالإيمان كقوله لعلي بن أبي طالب -عليه السلام- يوم خيبر «لأعطينّ هذه الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه، يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله» أخرجه البخاري (٢).

أيها المستمعون الكرام ، معشر الشباب ، لقد أثبت شباب صدر الإسلام قوتهم في الإيمان ورسوخهم فيه ، فقد لقي المسلمون الأوائل مع رسول الله ﷺ وعامتهم من الشباب صنوفاً من أنواع التعذيب من كفار قريش، ليصدوهم عن دينهم، حيث عدت كل قبيلة على من فيها من المسلمين فجعلوا يجسسونهم، ويعذبونهم بالضرب والجوع والعطش، وبرمضاء مكة إذا اشتد الحر.

(١) سورة الحجرات: جزء من الآية ١٥.

(٢) أخرجه البخاري مطولاً، الجامع الصحيح، كتاب المغازي باب غزوة خيبر، ٣ / ١٣٧، حديث ٤٢١٠.

يصف عبدالله بن عباس (رضي الله عنهما) ما بلغ المسلمين الأوائل من الأذى كما يروي سعيد بن جبير ^(٣)، قال: قلت لعبدالله بن عباس: أكان المشركون يبلغون من أصحاب رسول الله ﷺ من العذاب ما يعذرون به في ترك دينهم؟ قال: نعم والله، إن كانوا ليضربون أحدهم ويجمعونه ويعطشونه حتى ما يقدر أن يستوي جالساً من شدة الضر الذي نزل به، حتى يعطيهم ما سألوه من الفتنة، حتى يقولوا له: اللآت والعزى إلهك من دون الله؟ فيقول نعم حتى إن الجعل ليمر بهم فيقولون له: أهذا الجعل إلهك من دون الله؟ فيقول نعم، افتدأ مما يبلغون من جهده ^(٤). وهذا الصنف من الناس الذين بلغ بهم التعذيب إلى هذا الحد، قد جعل الله سبحانه وتعالى لهم مخرجاً بقوله ﴿إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان﴾.

ومع هذا الابتلاء كله إلا أنه لم يؤثر في إيمان الشباب، فثبتوا على إيمانهم ثبوت الجبال الراسيات، بل زادهم قوة في إيمانهم وصلابة في مواقفهم.

فهذا عبدالله بن مسعود (رضي الله عنه) الذي سبق إلى الإسلام وهو شاب، فكان سادس أهل الأرض إسلاماً، كما يقول: رأيتني سادس ستة وما على ظهر الأرض مسلم غيرنا ^(٥). وكان أول من جهر بالقرآن في مكة ^(٦). ولقد أؤذي في ذلك ولكن هذا الإيذاء لم يزد إلا ثباتاً على إيمانه.

يقول عبدالله بن مسعود (رضي الله عنه) اجتمع يوماً أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا: والله ما سمعت قريش هذا القرآن يجهر به قط. فمن رجل يسمعهموه؟ قال عبدالله بن مسعود أنا، قالوا إنا نخشاهم عليك إنما نريد رجلاً له عشيرة، يمنعونه من القوم إن أرادوه. قال دعوني فإن الله عز وجل سيمعني فغدا ابن مسعود حتى أتى المقام في

(٣) سعيد بن جبير بن هشام الأسدي الوالبي مولاهم، أبو محمد ويقال أبو عبدالله الكوفي، تابعي مشهور. قال ابن حبان في الثقات: كان فقيهاً عابداً فاضلاً ورعاً، قتله الحجاج سنة خمس وتسعين وهو ابن تسع وأربعين. (انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٤/٣٢٧، ٣٤٣).

(٤) أخرجه أبو نعيم في "الحلية" ١/١٢٦ والحاكم في المستدرک ٣/٣١٣. وصححه ووافقه الذهبي. والذهبي في "سير أعلام النبلاء" ١/٤٦٤. وابن حجر في الإصابة ٢/٣٦٩.

(٥) ابن حجر في الإصابة ٢/٣٦٩.

(٦) ابن هشام في السيرة ١/٣١٤ وابن حجر في الإصابة ٢/٣٦٩. والذهبي في سير أعلام النبلاء ١/٤٦٦.

الضحى - وقريش في أنديتها- فقام عند المقام ثم قال: بسم الله الرحمن الرحيم رافعاً صوته: { الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ } ثم استقبلها يقرأ فيها. قال: وتأملوا، فجعلوا يقولون ما يقول ابن أم عبد، ثم قالوا إنه ليتلوا بعض ما جاء به محمد، فقاموا إليه فجعلوا يضربون في وجهه، وجعل يقرأ حتى بلغ منها ما شاء الله أن يبلغ. ثم انصرف إلى أصحابه، وقد أثروا في وجهه فقالوا هذا الذي خشينا عليك. قال: ما كان أعداء الله أهونَ علي منهم الآن، ولئن شئتم لأغادينهم بمثلها. قالوا: حسبك، فقد أسمعتهم ما يكرهون^(٧).

وخباب بن الأرت ذلك الشاب الذي أسلم ولم يجاوز عمره بضعة عشر عاماً قال مجاهد: أول من أظهر إسلامه رسول الله ﷺ ، وأبوبكر، وخباب، وصهيب^(٨) وبلال وعمار^(٩) وسمية^(١٠) أم عمار. فأما رسول الله ﷺ فمنعه الله بعمه أبي طالب أما أبوبكر فمنعه قومه. وأما الآخرون فألبسوهم أدراع الحديد ثم صهروهم في الشمس فبلغ منهم الجهد ما شاء الله أن يبلغ من حر الحديد والشمس^(١١).

ومن شدة ما لاقى خباب -رضي الله عنه- من الأذى قال : شَكَّوْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ قُلْنَا لَهُ أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا أَلَا تَدْعُو اللَّهَ لَنَا قَالَ كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُخْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ فَيُجْعَلُ فِيهِ فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ

(٧) أخرجه الإمام أحمد في "فضائل الصحابة" ٨٣٧/٢. وابن هشام في "السيرة" ٣١٥/١ وابن الأثير في أسد الغابة (٢٥٧/٣).

(٨) صهيب بن سنان بن مالك.. ويقال مالك بن عمرو بن عقيل... الرومي قيل له ذلك لأن الروم سبوه صغيراً وقدم بعد ذلك إلى مكة، أسلم ورسول الله ﷺ في دار الأرقم، وكان من المستضعفين ومن يعذب في الله، وهاجر إلى المدينة وتخلّى عن أمواله في سبيل هجرته، شهد بدرًا والمشاهد بعدها. مات سنة ثمان وثلاثين وهو ابن سبعين (انظر: ابن حجر، الإصابة ١٩٥/٢، ١٩٦).

(٩) عمار بن ياسر بن مالك بن كنانة بن قيس بن الحضير.. كان من السابقين الأولين هو وأبوه وأمه وكان ممن يعذب في الله وهاجر إلى المدينة وشهد المشاهد كلها، قتل بصفين سنة سبع وثلاثين وله ثلاث وتسعون سنة (المرجع السابق ص ٥١٢).

(١٠) سمية بنت خباط وقيل خبط. كانت سابعة سبعة في الإسلام، عذبها أبوجهل وطعنها في قلبها وماتت فكانت أول شهيدة في الإسلام. (المرجع السابق، ٣٣٤/٤، ٣٣٥).

(١١) ابن الأثير: أسد الغابة / ٩٨/٢.

فَيُشَقُّ بِأَنْتَيْنِ وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ وَيُمَشِّطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ وَاللَّهُ لَيَتِمِّنَّ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّكِيبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ أَوْ الذُّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ» أخرجه البخاري .

والشباب مصعب بن عمير (رضي الله عنه) أنعم غلام في مكة كان بين أبويه يغذوانه بأطيب الطعام والشراب، ولما أسلم ونور الله قلبه بالإيمان ترك ذلك كله واختار شظف العيش وشدة الحال ابتغاء ما عند الله ، فما عند الله خير وأبقى .

ويروي عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- ما وصلت إليه حال مصعب بن عمير (رضي الله عنه) فيقول : نظر النبي ﷺ إلى مصعب بن عمير مقبلاً وعليه إهاب ^(١٢) كبش قد تنطق به. فقال النبي ﷺ: «انظروا إلى هذا الرجل قد نور الله قلبه. لقد رأيته بين أبويه يغذوانه بأطيب الطعام والشراب، فدعاه حب الله ورسوله إلى ما ترون» ^(١٣).

واستمر مصعب بن عمير -رضي الله عنه- راسخاً في إيمانه وما تزيده شدة الحال إلا قوة في الإيمان حتى توفي -رضي الله عنه- وهو على تلك الحال. فعن حباب -رضي الله عنه- قال: "هَاجَرْنَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَلْتَمِسُ وَجْهَ اللَّهِ فَوَقَعَ أَجْرُنَا عَلَى اللَّهِ فَمِنَّا مَنْ مَاتَ لَمْ يَأْكُلْ مِنْ أَجْرِهِ شَيْئًا مِنْهُمْ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ وَمِنَّا مَنْ أَيْنَعَتْ لَهُ ثَمَرَتُهُ فَهُوَ يَهْدِيهَا" ^(١٤) قُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ فَلَمْ يَجِدْ مَا تُكْفِنُهُ إِلَّا بُرْدَةً إِذَا غَطَيْنَا بِهَا رَأْسَهُ خَرَجَتْ رِجْلَاهُ وَإِذَا غَطَيْنَا رِجْلَيْهِ خَرَجَ رَأْسُهُ فَأَمَرَنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ نُعْطِيَ رَأْسَهُ وَأَنْ نَجْعَلَ عَلَى رِجْلَيْهِ مِنَ الْإِذْخِرِ " أخرجه البخاري ^(١٥).

(١٢) الإهاب: الجلد ما لم يدبغ (الجوهري، الصحاح، ٨٩/١، مادة [أهب]).

(١٣) ابن الجوزي، "صفة الصفوة" ٣٩٠/١، والذهبي في "سير أعلام النبلاء" ١٤٧/١، وابن الأثير في "أسد الغابة" ٣٧٠/٤ بلفظ آخر.

(١٤) أي يقطعها ويجنيها .

(١٥) أخرجه البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الجنائز، باب إذا لم يجد كفناً إلا ما يوارى رأسه أو قدميه غُطي رأسه، (٣٩٣/١) حديث رقم ١٢٧٦.

أيها المستمعون الكرام للحديث بقية إن شاء الله . وفي الختام نسأل المولى جل وعلا
أن يلهمنا رشدنا ، وأن يوفقنا لصلاح ديننا ودينانا ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين
، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وإلى أن ألقاكم أستودعكم
الله ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.